

المعتقدات والآلهة المغربية أثناء الاحتلال الروماني..علاقة التأثير والتأثر

د/ محمد كافي، جامعة الجلفة

الملخص:

سأقدم واقع المعتقدات والآلهة المغربية أثناء الاحتلال الروماني..من حيث علاقة التأثير والتأثر، وذلك بدراسة المعتقدات والآلهة والفكر الديني في بلاد المغرب... وتطور مختلف مظاهرها العقدية والوثنية، ومنذ ظهور الدولة الرومانية..وبداية توسعها الديني، في حوض البحر الأبيض المتوسط، كان ارتباط التاريخ المغربي القديم بالمؤثرات الرومانية، تأثيراً وتأثراً، سواء في العهد الجمهوري: (146-29 ق م)، أو في العهد الإمبراطوري بفرعية الأول (29-244 ق م) حيث بداية (الهيمنة..والرومنة)، أو العهد الإمبراطوري الثاني: (244-429 ق م) (5) حيث الترسخ والمقاومة..

ولذا فإن الإشكال الأساسي للدراسة هو واقع الفكر الديني المغربي..ومظهره في ظل الاحتلال الروماني، والذي سأجيب عنه إضافة لما سبق من خلال أصل العبادات المغربية بين المحلية والوافدة، وحالات التأثيرات الخارجية، والأصول المحلية، وأهم مظاهر المعتقدات المغربية، كالموت والفناء، وقوى الطبيعة، وعبادة الشمس، مع تقديم نماذج عبادة الأرباب الوثنية المحلية، كالأرباب المشتركة، والربة أتينا، والأرباب الوافدة، كأثينا، وبوزيدون وترثون، والأرباب الأمازيغية، والمورية، والمصرية - الأمازيغية المشتركة، والأرباب الواسعة الانتشار كالرب آمون، والآلهة تانيت، ومختلف المعتقدات الرومانية ببلاد المغرب القديم، ومن ضمنها الآلهة الرومانية كالآلهة الرومانية الشرقية، والآلهة الرومانية الأصلية..

(* الكلمات المفتاحية: الرومان، أثينا، آمون، تانيت، نوميديين

Abstract

I will present a study of beliefs, deities, and religious thought in the Maghreb .., and the evolution of its various doctrinal and pagan aspects, since the emergence of the Roman state..and the beginning of its religious expansion, in the Mediterranean basin, the connection of ancient Moroccan history with Roman influences, influencing and influencing, both in the Republican era: (146-29 BC), or in the imperial era in the first sub-division (29 - 244 BC), where the beginning of (domination..and Romanization), or the second imperial era: (244 - 429 BC) (5) where consolidation and resistance..

I will also present the most important manifestations of Moroccan beliefs, such as death and annihilation, the forces of nature, and sun worship, while presenting models of local pagan cult worship, such as shared deities, goddess Atena, and immigrant deities, such as Athena, Bouzidoun, and the legacy, and the Berber, Moorish, and Egyptian - shared Berber deities, and widespread gods such as Lord Amun, the gods Tanit, and various Roman beliefs in the countries of the ancient Maghreb, including the Roman gods as the Eastern Roman gods, and the original Roman gods..

Keywords: Romans, Athena, Amon, Tanit, Numidians.

مقدمة

ضلت المعتقدات والآلهة المغربية أثناء الاحتلال الرومان.. نشطة وفاعلة في مختلف جوانب الحياة لارتباطها بالحاكم والمحكوم، ولقوة الاعتقادات السائدة آنذاك، ولذا فإن علاقة التأثير والتأثر كانت كذلك قوية بحكم ارتباط المعتقد بالسياسة والمجتمع، وسوف أتناول في الدراسة حالة الفكر الديني وتطور المعتقدات المغربية القديمة، قبل وأثناء ظهور الدولة الرومانية.. وخاصة مع بداية توسعها الديني، المصاحب لهيمنة الرومان على حوض البحر الأبيض المتوسط، وارتباط التاريخ المغربي القديم بالمؤثرات الرومانية، وهو ما تمثل في مختلف مظاهر العهد الجمهوري والعهد الإمبراطوريين الأول (29 – 244 ق م)، والثاني (244 – 429 ق م).

سأقدم في الدراسة مفاهيم وحيثيات الفكر الديني المغربي.. ومظاهره في ظل الاحتلال الروماني، وما يتعلق بذلك من حيث أصل العبادات المغربية بين المحلية والوافدة، والتأثيرات الخارجية، أو الأصول المحلية، والمتمثلة في العديد من المظاهر الإعتقادية المغربية كمظاهر الموت والنفاء، ومظاهرة قوى الطبيعة، وعبادة الشمس، كما أقدم نماذج من عبادة الأرباب الوثنية المحلية كالأرباب المشتركة، والربة أتينا، والأرباب الوافدة، والربة أثينا، وبوزيدون وترثون، والأرباب الأمازيغية، والأرباب المورية، والأرباب المصرية-الأمازيغية المشتركة، والأرباب الواسعة الانتشار، كالرب آمون، والآلهة تانيتن فضلا عن المعتقدات الرومانية ببلاد المغرب القديم، سواء ما تمثل في الآلهة الرومانية ببلاد المغرب القديم، أو الآلهة الرومانية الشرقية، أو الآلهة الرومانية الأصلية..

(1) بلاد المغرب.. وأصل السكان:

إن أصل سكان المغرب القديم له صلة وثيقة بالإنسان الذي استقر بهذه المنطقة منذ ما قبل التاريخ، ومن خلال ذلك فإن الوطن الأصلي للأمازيغ هو الموطن الذي نبتوا فيه منذ قرون خلت. لقد عرفت بلاد المغرب القديم وحدة جغرافية اقتضتها مجموعة جبال الأطلس ووحدة جنسية لكونها عمرها الأهالي، الذين أطلقت عليهم تسميات مختلفة في المصادر التاريخية، التي تتميز بقلتها وندرتها. إلا إذا استثنينا البقايا المادية لتلك الحضارة الغابرة التي عرفها المغرب القديم، فذكر المصريون أهالي شمال إفريقيا بـ "مشاوس" كما أن هناك تسمية أخرى أطلقها السكان المحليون على أنفسهم، وهي كلمة "أمازيغ" وتعني النبل والشهامة، وساهم الإغريق والرومان "البربر" وهي كلمة يطلقونها على الشعوب الخارجون على محيط الحرارة الإغريقية والرومانية. كما سمو بالليبيين والنوميديين نسبة إلى كلمة نومادوس (Nomados) الرومانية وتعني الرحال المتنقلون. فبالإضافة إلى الاختلاف في اسم سكان شمال إفريقيا اختلف المؤرخون كذلك في أصلهم وهناك كتابات كثيرة في هذا الشأن.

فالمؤرخون العرب في العصر الوسيط قالوا أن البربر من أصل يمني أي من العرب العاربة، ونفس التأويل سار عليه مؤرخو الاستعمار الفرنسي في القرن الماضي وبداية القرن، فأخذوا يؤكدون على أن الامازيغ أوربيو الأصل، وكان وراء هذا الموقف أهداف سياسية محضة. لكن خلال الأربعين سنة الماضية فقد عمل الباحثون بجد، واستغلوا ما توفرت لهم من الإمكانيات الإركيولوجية. والأنثروبولوجية واللسانيات في إيجاد الأصل الحقيقي لسكان المغرب القديم.

(2) الفكر الديني وتطور المعتقدات المغربية القديمة:

تعددت آلهة بالمغرب القديم والتي عبدها السكان الأصليون على مر الزمن، وذلك لتعدد المعتقدات الدينية المحلية عندهم، وخاصة في فترة الاحتلال الروماني، حيث عبت الآلهة الرومانية.. ومع تطور الفكر الديني في بلاد المغرب القديم كان تطور والآلهة التي عبت آنذاك مع الاحتلال الروماني..

(3) ظهور الدولة الرومانية.. وبداية توسعها الديني:

(أ) ظهور الدولة الرومانية:

ظهرت روما بشبه الجزيرة الإيطالية، التي على يد الأخوين رومولوس وريموس حسب الأسطورة، فقام رومولوي بقتل ريموس وإنشاء قرية باسمه⁽¹⁾، وأخذت تستقر بها جماعات إغريقية وترسيكية من آسيا الصغرى وتحولت بذلك إلى مدينة فدولة قوية أخذت تتوسع على شبه جزيرة إيطاليا وتوحد قبائلها، ومر نظامها السياسي بثلاث

مراحل: نظام ملكي، وقد استمر من سنة 753 إلى سنة 509 ق م، ونظام جمهوري، واستمر من سنة 509 إلى سنة 27 ق م، ثم نظام إمبراطوري، وقد استمر من سنة 27 على سنة 476 م⁽²⁾.

(ب) توسع الرومان في حوض البحر الأبيض المتوسط:

بامتداد الدولة الرومانية إلى شواطئ المتوسط تعرفت على حضارات جديدة كانت تسيطر على المنطقة كالإغريقية والقرطاجية، وبعد حروب طويلة مع هذه الأخيرة والتي عرفت بالحروب البونية (264 – 146 ق م)، أين تمكنت من الإطاحة بقرطاجة وحلت مكانها وبالسواحل الغربية للمتوسط⁽³⁾.

(4) ارتباط التاريخ المغربي القديم بالمؤثرات الرومانية:

يمكن تقسيم تاريخ المغرب القديم على عهد الاحتلال الروماني إلى ثلاث مراحل أساسية

(أ) العهد الجمهوري: (146 – 29 ق م)

هذه في المرحلة الأولى قامت روما بتدمير قرطاجة نهائيا، إذ قامت بزرع أرضها ملحا وتحويل أهلها عبيدا والاستيلاء على ممتلكاتها أين أصبحت تسمى بالمقاطعة الإفريقية⁽⁴⁾، وخلال قرن من الزمن "146 – 46 ق م" استولت روما على اوتيكا ولبدة وجزء من نوميديا بعد حرب يوغرطة بقيادة قيصر، حيث أقام مقاطعة ثانية تسمى إفريقيا الجديدة، وبعد وفاة ملك موريتانيا (بوخوس 33 ق م)، ولم يترك وريثا للعرش قامت روما بضمها إليها⁽⁵⁾.

(ب) العهد الإمبراطوري الأول (29 – 244 ق م) (الهيمنة..والرومنة):

في هذه المرحلة وصل (أغسطس) إلى الحكم، وعين على موريتانيا أحد المغاربة وهو (يوبو الثاني) (25 – 23 ق م)، وحكم بعده ابنه (بطليموس) حليف الشعب الروماني ضد بلده تاكفيريناس "17 – 27 م، لكن هذا الولاء لم يشفع له حيث اغتاله (كاليكولا: 40 م)⁽⁶⁾، وبوفاته تم إلحاق موريتانيا بروما بعد تقسيمها إلى قيصرية (شرشال) و (طنجة/طنجة)، وليلي⁽⁷⁾.

وعملت روما أثناء هذه الفترة على تطبيق سياسة جديدة هي مصادرة الأراضي من المغاربة وتحويلها إلى ملكية عمومية لروما تحت اسم أراضي الأعداء المهزومين⁽⁸⁾، ورحلت أصحابها إلى الجبال والصحاري مثل قبائل الموسولامي المستقرة بالشمال القسنطيني وتحولت إلى قبائل بدو رحل بالصحراء، وقامت روما بمسح كل الأراضي

وأعادت تقسيمها إلى مربعات يصل الواحد إلى: (50.23 هكتار)، وفتحت مزايدة للبيع والإيجار والمصلحة⁽⁹⁾ ، وبذلك يمكن القول أن الأراضي المغاربية أصبحت مقسمة إلى:

(أ) أراضي ملكية لروما.

(ب) أراضي خاصة بالأباطرة.

(ج) أراضي لأعضاء مجلس الشيوخ والكنيسة والفرسان.

(د) أراضي للجنود المسرحين

(هـ) أراضي للمستوطنين⁽¹⁰⁾ .

ولتدعيم وتعزيز هذه السيطرة قامت بإنشاء خطوط عسكرية عرفت بخطوط الليمس⁽¹¹⁾ ، والذي أقيمت ما بين القرنين الأول والثالث ميلادي، لحماية مصالحتها من القبائل الجبلية (المور).

والصحراوية (الجيتول)⁽¹²⁾ ، ومع هذه الخطوط العسكرية والتقسيم الكامل للأراضي أصبحت روما تسيطر على بلاد المغرب بكامله ضمن ما يعرف بسياسة رومنة الأراضي التي تعدته إلى رومنة الحياة الإنسانية من إدخال اللغة اللاتينية وفرض الديانة الرومانية⁽¹³⁾ .

(ج) العهد الإمبراطوري الثاني: (244 – 429 ق م).

5) الفكر الديني المغربي..ومظاهره في ظل الاحتلال الروماني:

من الصعب معرفة تفاصيل تهم المعتقدات الدينية لسكان المغرب القديم بصورة واضحة، وذلك قبل وصول التأثيرات الخارجية حيث لا يوافقنا المتخصصون في عصور ما قبل التاريخ بمعلومات تمكننا من معرفة أكثر بتلك الطقوس التي يمارسها سكان المغرب القديم. إذ تقتصر هذه المعطيات على الطقوس الجنائزية. فما نعرفه عن الحياة الدينية لسكان المغرب القديم هو مجرد إشاعات حيث يشير المؤرخون إلى أن البربر كانوا يدينون بالديانة الإحيائية، فقد واكب المغرب القديم باقي الحضارات، باستبدال الصيد والقطف والترحال بالإنتاج والاستقرار والزراعة وتدجين الحيوانات، وأدى كل هذا إلى اعتقاده بوجود قوى خفية تحيط به⁽¹⁴⁾ ، وهذا راجع إلى قصر نظره

للكون والحياة على مسببات الظواهر الطبيعية⁽¹⁵⁾ ، وإلى الفائدة التي تقدمها له⁽¹⁶⁾ ، فجعل من الشمس والقمر والكهوف والرياح والمياه عبادة له⁽¹⁷⁾ .

وعموما فقد عرف سكان المغرب القديم خلال مراحل تطور فكرهم الديني نفس الخطوات التي مر بها الإنسان بصورة عامة، انطلاقا من ظاهرة الاعتقاد في وجود قوى خفية تتحكم في مصيرهم إلى بعض الظواهر الدينية التي يختلط فيها السحر بالدين كالانيمة والقيتشية وصولا إلى اعتقادهم في كون الطبيعة مليئة بالأرواح الخيرة والشريرة والجن، لدرجة أن كل حركة من الحركات من مظاهر الطبيعة وراءها روح من الأرواح، مما جعل المغاربة القدماء يمعنون التأمل في صيرورة كوكب الشمس والقمر والنجوم وفي هذا التحرك شرقا وغربا، ليلا ونهارا⁽¹⁸⁾ .

(6) أصل العبادات المغربية بين المحلية والوافدة:

(أ) التأثيرات الخارجية:

إن أصل هذه العبادة يظل محل اختلاف بين الإغريق المختصين في تقديس الكواكب، وبين المصريين والفينيقيين ودليلهم في ذلك وجود أشكال القرص بمصر والساحل الفينيقي..⁽¹⁹⁾ .

(ب) الأصول المحلية:

إن عجز الديانات التوحيدية (كالمهودية، والمسيحية، والإسلام) في القضاء على هذا المعتقد دلالة على جذورها المحلية المغربية..

(7) مظاهر المعتقدات المغربية:

(أ) الموت والفناء:

الجدير بالإشارة هنا التذكير بدور الموت والفناء وطرقه في ظهور عقيدة الإيمان بوجود حياة أخرى وبفكرة الخلود واللحود ومحتوياتها توحى بوجود فكرة الخلود لدى سكان المغرب القديم والتي برزت معها عبادة الموتى والأسلاف، التي ستتحول بالتدريج إلى عبادة الملوك

(ب) مظاهر قوى الطبيعة:

كما عرف سكان المغرب القديم بدورهم عبادة مظاهر قوى الطبيعة التي اعتبرت مرحلة أساسية مرت منها كل الشعوب، وتتمثل هذه القوى في الجبال والكهوف والأحجار والماء والنجوم والكواكب والأشجار أو في المغارات والأماكن (20).

(ج) عبادة الشمس الاستثناء:

إن معظم المصادر القديمة أجمعت على أن أولى عبادات المغاربة كانت الشمس وهذا ما ذهب إليه هيروديت (21)، وهذا لفائدها كالدفع والإنارة، باستثناء قبائل (الترانتس) و(الجيتول)

بالصحراء الذين كانوا يلعبونها لأشعتها المحرقة (22)، عكس الليبيون في الشمال الذين يقدمون لها الأضاحي كقبائل (النسامون) المستقرون حول بحيرة تريتون (23).

(8) نماذج عبادة الأرباب الوثنية المحلية:

في تلك المرحلة عرف الفكر الديني لسكان المغرب القديم ، تطورا نوعيا انتقل به إلى مستوى ظهور ما يعرف بالأرباب، فاعتمادا على نصوص هيروديت وديودور الصقلي ورحلة حانون وصاحب رحلة سكيلاكس أصبح من المؤكد أن فكرة وجود أرباب لسكان المغرب القديم أصيلة اقتبسها الإغريق بعد ذلك، بل ويؤكد ديودور الصقلي أن "الأرباب ولدت في بلادهم وهو رأي يتفق عليه الإغريقيون ويؤكدده أشهر شعائريهم (هوميروس) (24).

(أ) أرباب مشتركة

= الربة أتينا:

فإذا عدنا إلى التاريخ هيروودوت الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد فنجده يذكر أن سكان المغرب القديم الذين كانوا يعتقدون في الربة (أتينا) يقول "غير أن القاطنين منهم عند البحيرة الشريتونية يقربون لاتينا خاصة من بعدها لثريثون وبوزيدون"، وهذا ما يؤكد بان هذه الأرباب أمازيغية في الأصل، إلا أننا لا تدري هل هذه الأسماء المعروفة بها في بلاد الإغريق هي نفسها التي كانت تعرف بها في بلاد المغرب القديم أم أن هذه الأسماء تخفي أسماءها الأصلية التي لا نعرف عنها أي شيء لحد الآن (25).

(ب) أرباب و افدة:

من المؤكد أنه في القرن الخامس قبل الميلاد على الأقل كان سكان المغرب القديم يمجدون أربابا ثلاثة، وهي:

= أثينا:

كانوا يقيمون حفلا سنويا للربة (أثينا)، تنقسم فيه عذاراهم فريقين يحارب أحدهما الآخر بالحجارة والهرافات وبهذا على حد قولهم يظهر إجلالهن على نمط الأسلاف نحو تلك الربة الوطنية التي ندعوها نحن أثينا وتعتبر الفتيات اللاتي يمتن متأثرات بجراحهن، ويلاحظ أن هذه الشعيرة عن صراع طقوس ذي طابع ديني مرتبط بمعبود أمازيغي وأن الهدف من هذه الصراعات الطقوسية العمل بطريقة عنيفة على طرد الأمراض والشور والاثام، التي تسكن جسدي المصارعين، هذا فضلا عن تجديد المقدس بتطهير الجسم من الذنوب والأخطاء التي تراكمت طيلة السنة بمعنى آخر طرد الماضي بشره على الخصوص.

= بوزيدون وترثون:

كما كان (بوزيدون وترثون) يمثلان مكانة شرفية إذ يذكران ضمن المجموعة الثالثة من الأرباب الشاهدة على قسم جنيبعل..

(ج) أرباب أمازيغية:

هناك أرباب أمازيغية كثيرة أخرى، ومن بينها:

= ثانيت:

= إفريقيا:

= اوليسوا:

= طبياكاس

= كورزيل:

= أمون:

= انزار:

(د) أرباب مورية:

كالأرباب المذكورة في لوحة بابا وأرباب مجيفة وغيرها⁽²⁶⁾.

(هـ) أرباب مصرية - أمازيغية:

هناك أرباب كان تعتقد أنها مصرية، ويظهر أنها أمازيغية الأصل⁽²⁷⁾، ومن بينها:

= أمون:

= إزيس:

= تفنوت:

= سباووخ:

= آش:

(9) أرباب واسعة الانتشار:

(أ) الرب أمون:

إذا انطلقا من حاضرتنا، نلاحظ أن الإنسان في العالم القروي خاصة الذي يرى الغنم لا يزال يبجل ويحترم بل ويقدم قرون كبش الأضحية والندور، ويحتفظ بها في بيته اعتقادا منه أنها تدفع عنه وتقيه شر النظرة والعين، يبدو أن هذا المعتقد من بقايا رواسب العقيدة الأمازيغية العنيفة الخاصة بتقديس وتبجيل الكبش والتي تعتبر النقوش والرسوم الصخرية من أقدم الوثائق التي تشير إليها. فالكبش يعتبر من أكثر الحيوانات شبقا وشهوانية، وقد اختير للدلالة على القدرة التناسلية المخصصة مثل الثور، ويتعلق به رمز الخصوبة ويوصف بأنه رمز القمح، ويبدو أن (أمون) وهو من أكبر الآلهة عند البربر، الذي يرمز له بالكبش كان يعتبر الرب الرئيسي الأمازيغي، وقد أكدت النصوص وجوده منذ القرن السادس قبل الميلاد وإلى غاية العهد البيزنطي، وهناك من يعتقد بان وجود الشعوب الأخرى، فهو يقابل (بعل حمون البوني) و (زيوس اليوناني)، أما أصله فقد تم الاختلاف حوله⁽²⁸⁾. فقد قيل بأنه من أصل مصري وهناك من يقول انه أمازيغي، فمصر هي التي كانت وراء انتشار معبوداتها عبر شمال إفريقيا كما أن الأكباش المتوجة أو المحاطة رؤوسها بهالة، والنحوت على النقوش الصخرية في جبال الأطلس، كانت رغم البعد الجغرافي قد ربطت بكل بساطة بالإله المصري أمون بطيبة، والذي كان (هنري باص) قد عثر اسمه تحت شكل "امان" الذي تعني السيد، وقد تحول أمون الإله الكبش إلى الإله الشمس بعد امتزاجه مع "رع" وأخذ يفرض سيطرته من منطقة إلى أخرى، منتجها من الشرق وبالتالي الغرب إلى أن هيمنت عبادته على كل شمال إفريقيا، وهذا

الافتراض أصبح مقبولاً إلى غاية القرن العشرين لأنه اتضح أن الكباش المتوج لا يمكن أن يكون هو كبش (أمون - رع)، لأنه وبكل بساطة أن الكباش المتوج المنحوت في النقوش الصخرية أقدم بكثير من أمون رع، ويعود إلى مرحلة من العصر الحجري الحديث، كما أن الباحث س. غزال (Gsell) كان في البداية يدافع عن الفرضية القائلة بالأصل المصري لعبادة الكباش الأمازيغي في الجزء الأول من كتابه "التاريخ القديم لشمال افريقيا" بينما تخلى عنها في الجزء السادس من نفس الكتاب..

إضافة إلى النقوش الصخرية المتعلقة به فقد وجدت في كل من، معبد الحفرة - قسنطينة - وجد به 281 نصب لأمون، (وهيبون، دلس، شرسال، تيبازة)، كل هذه المناطق تنتمي إلى المملكة النوميدية، وهذا دليل آخر على مغاربيته، وكان الإله أمون عند المغاربة، يعتبر الها للخير وخلود الروح والشمس⁽²⁹⁾ ، أما تجسيده فكان على شكل شيخ يجلس على العرش ويمسك بكباش، وصورة أخرى لإنسان على رأسه قرص الشمس بمدخل المعبد وكأنه سيد للمعبد⁽³⁰⁾ .

وتظهر مكانة أمون عند النوميد من خلال صك عملة بوعد من الرومان "سنة 49 ق م" وشم على الوجه الأول يوبا الأول مكافأة لمساعدته لقوات بومي ضد قيصر والوجه الثاني صورة للإله أمون الكباش وبين قرنيه قرص الشمس⁽³¹⁾ .

(ب) الالهة تانيت:

كانت الالهة (تانيت) تشكل زوج الهي مقدس مع قرينها أمون لدى المغاربة، وكانت رمز للأومومة والخصوبة، ويعود تمسك المغاربة بالهة أنثى إلى قيمة المرأة في المجتمع القبلي واتخاذها رمزا للخصوبة⁽³²⁾ ، أما أصل هذه الالهة فهي محل اختلاف أيضا بين الأصل القرطاجي أو المغاربي غير أن أهل الاختصاص يؤكدون على مغاربيتها، ويقال أن بداية انتشارها ببلاد المغرب يعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد⁽³³⁾ ، وقد قام الفينيقيون بنشر عبادة (تانيت) في بداية الأمرين على شكل دمي جميلة تهدي للأطفال المغاربة⁽³⁴⁾ ، إلا أن المؤرخ "خزعل الماجدي" يقر بان أصل هذه الالهة بربريا فتبناها القرطاجيون⁽³⁵⁾ ، وتقابلها عند الفينيقيون الخصوبة عشترت⁽³⁶⁾ ، ولعل تمسك المغاربة برمزاها إلى يومنا هذا من خلال الابريم الفضلي الذي تستخدمه المرأة في لباسها والوشم على جهة المرأة هو خير دليل على جذورها المغاربية⁽³⁷⁾ .

(10) **المعتقدات الرومانية** **ببلاد المغرب القديم:**
 عرف الرومان الديانة الوثنية كغيرهم من الأمم حيث مرت بأربع مراحل رئيسية:
 = مرحلة المعتقدات البدائية:

وتمثل تعدد الآلهة (الأكل، الشرب، الجبال)، وكانت عبادة عائلية⁽³⁸⁾، وكان في اعتقادهم أنهم بقدر ما يزداد عدد الآلهة بقدر ما يضمنون لأنفسهم الخير، ويبعدون الشر والأذى⁽³⁹⁾.

= مرحلة المعابد والطقوس الرومانية:

حيث عرفت هذه المرحلة دخول المعابد والطقوس في حياة الرومان..

= مرحلة التأثير بالمعتقدات الخارجية:

نتيجة الانتصارات والتوسع الخارجي، تأثرت بالديانات الأخرى على غرار المصرية والإغريقية والقرطاجية

= مرحلة التذمر من تعدد الآلهة وعبادة الإمبراطور.. حتى ظهور المسيحية:

حيث بدأ تذمر العامة من تعدد الآلهة وعبادة الإمبراطور وظهور المسيحية⁽⁴⁰⁾.

(11) **الآلهة الرومانية ببلاد المغرب القديم:**

كانت أولى الآلهة التي عرفها الرومان هي المعروفة بالآلهة فيستا، ويسهر أفراد العائلة على خدمتها ثم بدأت في

الانتشار لتصبح اجتماعية⁽⁴¹⁾، واختلفت الديانة الرومانية وتنوعت بين الآلهة المعنوية أو الروحانية كالخير والشر

والسلم والنصر والحرب والآلهة السماوية أبولون، جونون، جوبيتر⁽⁴²⁾، وقد تنوعت الآلهة الرومانية بالمغرب

القديم بين الأصلية والآلهة ذات الأصول الشرقية نسبتها إلى نفسها بعدما شعرت بحاجة إلى فنانة فكرية وجمالية لم توفرها لها الآلهة الأصلية، إضافة إلى كونها جسر لمحو الآلهة من الشرق إلى الغرب وذلك عن طريق جيشها الذي

كان متعدد الأصول وبذلك تبنتها وأعطتها اسم رومانيا⁽⁴³⁾.

أ) الآلهة الرومانية الشرقية:

= الإله ساتورن:

يعتقد أن أصله إغريقي كرونوس بعدما فر من اليونان، واستقر بروما، وكان مختصا بالزراعة والعواصف والخصوبة، واسمه مشتق من كلمة (SATA) وتعني الأرض المزروعة⁽⁴⁴⁾، وكانت صورة الإله (ساتورن) على شكل شيخ ملتحي ذو شعر طويل، ورأسه مغطى بتاج ويمسك بيده اليمنى حربا وأمامه كبش فداء، وقد وجدت له آثار كثيرة بمعبد الحفرة (سيرتا) ويعتقد أنه عبد بها من طرف الجالية الايطالية، وكذا آثار بمدينة جميلة تعود إلى القرن 3 م⁽⁴⁵⁾، ويمكن القول أن سبب الانتشار الواسع لعبادة الإله ساتورن لدى المغاربة لعدة أسباب، من بينها فرض القوة من طرف السلطات الرومانية، حيث اعتبره المغاربة خليفة (لبعل حمون) القرطاجي و(أمون) المغربي، باعتباره اله للزراعة التي كان (ماسينيسا) يحث عليها⁽⁴⁶⁾.

= الآلهة ديانا:

هي نفسها الآلهة (أرتميس) الإغريقية وقامت روما بنقل تماثيلها وتبنتها، وتعتبر آلهة للقمر وحامية للنساء وراعية للغابات والصيد وكانت تمثل بامرأة على عربة ترمي بسهم⁽⁴⁷⁾، ووصلت إلى المغرب مع بداية الاحتلال حيث وجد لها آثار بتبسة وشرشال⁽⁴⁸⁾.

= الإله باكوس:

هو في الأصل الإله الإغريقي (ديونيسيوس) إله الكروم والخمر، ثم حوله الرومان إلى (باكوس)، وصور على شكل رجل عار يمسك بعنقود عنب ووجدت له تماثيل عديدة بالمغرب سواء على قطع نقدية أو نقوش حجرية في كل من خنشلة وتيمقاد وجميلة⁽⁴⁹⁾.

= الآلهة سيبيلي:

والمعروفة بالأم الكبرى، جاءت من أسيا الصغرى عام "204 ق م" وانتشرت بسرعة في روما والمغرب القديم، وكانت عبادتها سرية⁽⁵⁰⁾.

(ب) الآلهة الرومانية الأصلية:

= ثلاثي الكابيتول (51):

كان لكل حضارة ثلاثي مقدس يعتبر حاميا لها، فالمصريون عرفوا ب(إزيس واوزير وحورس)، والإغريق ب(هيرا، أثينا، زيوس)، وعند الرومان نجد (جونون، منيرفا، جوبيتر)، وانتشرت عبادة الثلاثي بأغلب المدن الرئيسية بروما (52)، ووصلت عبادة الثلاثي إلى بلاد المغرب القديم مع الاحتلال الروماني، فمدينة تيمقاد بنيت على شرفه (53)، وكذلك مدينة صبراتة التي وجد بها معبد عبارة عن ثلاث حجرات، كل حجرة ترمز لإله الذي شيد خلال القرن الأول الميلادي (54).

= الإله جوبيتر:

يعتبر سيد الآلهة الرومانية وذلك لتعدد وظائفه، فهو اله البشر والسماء والطقس والزمن والبرق والمطر، ويعتبر الإله جوبيتر حامي روما والمشرف على حروبها وجالب النصر لها، في معركة (قيصر) ضد (يوبا الأول) طلب الجنود مباركة اله النصر (جوبيتر)، وكان شعاره اللون الأبيض، لذا وجب على الكهنة ارتداء الأبيض، وكذا القرابين صوفها يكون أبيض، ويغلق المعبد أثناء فترة السلم وفي حالة الحرب يخرج الإله مع الجيش إلى المعارك (55)، وأهم مناطق عبادته ببلاد المغرب نذكر: جنوب الأوراس (معبد القنطرة) الذي أقامه الإمبراطور كركلا (56)، ومدينة سيتيفيس، وكل المدن الرومانية.

= الإله مارس:

هو اله مختص بالحرب إلى جانب جوبيتر، ويرمز له برمح مقدس، وهو خاص بالمحاربين، ولا يجوز للعامة زيارة معبده إلا في شهر مارس، وجد له آثار بمدينة سيتيفيس التي بنيت على شرفه (69 - 98م)، وكذا مدينة لامباسيس، وورد اسم الإله مارس في المعاهدات الرومانية مع القرطاجيين والإغريق (57)، وتراجعت مكانته بعد انهزام روما أمام حنبعل (216 ق.م)، فامتنعوا عن زيارته وتقديم القرابين له وهذا حسب رواية المؤرخ (تيت - ليف) (58).

= الإله نبتون:

من الآلهة الرومانية المعروفة، فهو اله المياه والملاحة والبحر، ويقابل عند الإغريق الإله بوزيدون وداجون الفينيقي، ومعبده جليها قرب الينابيع والعيون، تقام له احتفالات بشهر جويلية، وله آثار ببجاية، سيرتا، قفصة (59).

= عبادة الإمبراطور:

لقد عرف الرومان عبادة أو تاليه الملك مع (رومولوس) مؤسس روما، الذي يعتقد بأنه ابن الإله، واله أحفاده من بعده الى غاية (509 ق.م)، قيام الجمهورية الرومانية⁽⁶⁰⁾، وبدأت عبادة الإمبراطور مع (أغسطس)⁽⁶¹⁾، وذلك لأعماله الجليلة التي قدمها لروما، ممثلة في إعادة العبادة الروحانية لمظاهر الطبيعة، وحارب الآلهة الأجنبية⁽⁶²⁾، وتكون عبادة الإمبراطور بعد مماته، حيث يجتمع مجلس الشيوخ ويقرر رفعه إلى مصاف الآلهة وهذا بعد دراسة انجازاته وأعماله⁽⁶³⁾.

أما ببلاد المغرب القديم فكان يقام على شرفه الاحتفالات في الساحات العامة على شكل مآدب للفقراء لدلالة على سماحة الإله (الإمبراطور)⁽⁶⁴⁾، وحضور المغاربة لم يكن عن قناعة وإيمان بهذه العبادة بل لشدة الجوع والحاجة⁽⁶⁵⁾، وأهم المناطق التي أله فيها هي:

+ مملكة شرشال التي كانت بزعامة يوبا الثاني، حيث قام بصنع تمثال لأغسطس من الرخام الأبيض وفرضه على السكان كإله، وهذا اعتراف بالجميل

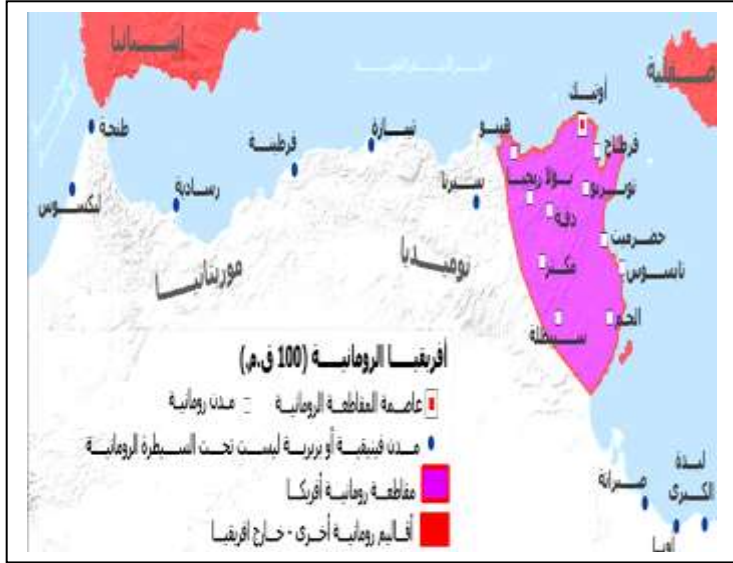
+ مدينة قورينة أين عثر على كلمة أغسطس منقوشة على معبد

+ مدينة جيينس (تونس) حيث وجد رأس تمثال لأغسطس⁽⁶⁶⁾.

= الأسرة السيفيرية: ألهمت هذه الأسرة التي تظم (سبتيم سيفار) (193-211م)، وزوجته (جوليا) ابنة كاهن حمص، وابنه كركلا (211-217م)، لمنجزاتهم في خدمة روما⁽⁶⁷⁾، وباعتبار (سبتيم سيفار) من أصل مغاربي (لبدة)، فقد أثر على المغاربة لدرجة التقديس، ونجده في بناء المعابد والتماثيل بمدينة لبدة وكويكول (جميلة)، وجاء بعده أحفاده كركلا وسيفار الكسندر " (222-235م) اللذان ألهما، ويمكن القول بان عبادة الإمبراطور كانت منحصرة في المدن الرومانية فقط ببلاد المغرب القديم ولم تصل إلى المدن النوميدية، حتى الذين تأثروا بها إما لمصلحة أو فرضت عليهم بالقوة⁽⁶⁸⁾.

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة عن المعتقدات الوثنية التي مارسها المغاربة أثناء الاحتلال الروماني نستنتج أن المغرب القديم كان لا يقل شأنًا عن بقية مناطق العالم سواء في التفكير الديني أو ممارسة الشعائرية، وليس معناه أن المغاربة عندما قبلوا الامتزاج بالمعتقدات الوافدة شعب قابل للاحتلال حيث تأكد من خلال حضارة عين الحنش التي تعود إلى مليون وسبعمائة ألف سنة قبل الميلاد أن له مكانة ضمن الحضارات القديمة، وان أضرحة المدغاسن ودوقة وسيقة والضريح الموريتاني وصومعة الخروب تضاهي الأهرامات المصرية والمعابد الإغريقية والزاقورات الأشورية، إضافة لعبقرية المغاربي الذي وصل مع شيشنق وأحفاده إلى عرش الفراعنة، وسبتيم سيفار الذي وصل وأحفاده إلى عرش روما..



(*) الهوامش:

- (1) شافية شارن وآخران: الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والأبحاث، الجزائر، 2007، ص 36.
- (2) محمد الصغير غانم وآخران: المقاومة والتاريخ العسكري، ص 299.
- (3) شافية شارن: "النتائج الاقتصادية للتوسع الروماني وموريتانيا القيصرية" حولية المؤرخ، ع 1، اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، 2002، ص 35 - 36.
- (4) شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، ص 146.
- (5) محمد الهادي حارش: التاريخ المغربي القديم، ص 181 - 182.
- (6) محمد الصغير غانم: "بعض ملامح ثورات التحرير ضد الاستعمار الروماني خلال القرن الأول ميلادي"، حولية المؤرخ، ع 1، اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، 2002، ص 25 - 26.
- (7) محمد الهادي الحارش: المرجع السابق، ص 185.
- (8) شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، ص 150.
- (9) شافية شارن: "النتائج الاقتصادية للتوسع الروماني"، ص 38.
- (10) شارل أندري جوليان: المرجع نفسه، ص 154.
- (11) خطوط الليمس: هي عبارة عن خطين عسكريين، الخط الأول: أقامه الإمبراطور تراجانوس بنهاية القرن الأول (م) والثاني أقيم خلال منتصف القرن الثاني إلى غاية القرن الثالث ميلادي ضد قبائل المور والجيتول، (أنظر: محمد البشير شنيقي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ص 117 - 119).
- (12) الجيتول: هي قبائل تقطن الصحراء وترتحل إلى التل من أجل الكلاً للماشية بحكم ممارستهم للرعي، وامتد نفوذهم من المحيط غرباً إلى خليج سرت شرقاً، (أنظر: محمد الصغير غانم: المرجع السابق، ص 29).
- (13) محمد البشير شنيقي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم - سياسة الرومنة (146 ق م - 40 م) -، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 141 - 143.
- (14) محمد إبراهيم المليي: الجزائر في ضوء التاريخ، دار البعث، قسنطينة، 1980 م، ص 150.
- (15) محمد البشير شنيقي: التغيرات الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب اثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 259.
- (16) شافية شارن وآخران: الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007، ص 28.
- (17) محمد خريسات وآخرون: تاريخ الحضارات الإنسانية، ط 1، دار الكندي، الأردن، ص 52 (18) محمد

- الصغير غانم : الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى، الجزائر 2005، ص 22.
- (19) عثمان الكعك : موجز التاريخ العام للجزائر – من العصر الحجري الى الاحتلال الفرنسي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص 32.
- (20) محمد الصغير غانم : الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى، الجزائر 2005، ص 22.
- (21) عبد اللطيف محمود البرغوثي: التاريخ الليبي القديم من اقدم العصور الى الفتح الاسلامي، ج 1، ص 136، محمد الهادي حارش: التاريخ المغربي القديم – السياسي والحضاري – منذ فجر التاريخ الى الفتح الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص. 145.
- (22) عبد الحميد عمران: الحركة الدوناتية بين الانشقاق الديني والتحرر (305–411 م)، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005، ص. 37.
- (23) محمد الصغير غانم : المرجع السابق، ص 22.
- (24) عبد اللطيف محمود البرغوثي : التاريخ الليبي القديم، ص 138.
- (25) المرجع نفسه : ص 135.
- (26) عبد العزيز الثعالبي : مقالات في التاريخ القديم – تاريخ شمال افريقيا – ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986، ص 17.
- (27) احمد بوساحة : أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2004، ص 56 – 60.
- (28) محمد العربي عقون : لاقتصاد والمجتمع، ص 212.
- (29) محمد الصغير غانم : المرجع السابق، ص 87 – 88.
- (30) محمد الصغير غانم : "علاقة نوميديا بالرومان"، مجلة التراث، ع 3، مطبعة الشهاب، الجزائر، 1988، ص 24.
- (31) رشيد الناضوري : المغرب الكبير، ص 209.
- (32) محمد الصغير غانم : المملكة النوميدية، ص 207.
- (33) عبد العزيز الثعالبي : مقالات في التاريخ القديم – تاريخ شمال افريقيا – ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986، ص 17.
- (34) خزعل الماجدي : المعتقدات الكنعانية، ط 1، دار الشرق، الاردن، ص 155.
- (35) أندري ايمار، جانين ابوايه : تاريخ الحضارات العام – روما وإمبراطوريتها -، تعريب : داغر اسعد و فريد أبو ريحانة، ط 6، منشورات عديدات، بيروت – باريس – 2006، ص 60 – 61.
- (36) محمد العربي عقون : الاقتصاد والمجتمع، ص 215.

- (37) سعدون محمد الساموك : في مقارنة الأديان والمعتقدات، ص 248.
- (38) شافية شارن واخران : الاحتلال الاستيطاني، ص 229.
- (39) سعدون محمد الساموك : المرجع السابق، ص 248.
- (40) ابكار السقاف : الدين عند الإغريق والرومان والمسيحيين، ج 3، ط 1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2004، ص 264.
- (41) عثمان الكعك : موجز التاريخ العام، ص 69.
- (42) اندري ايمار : روما وإمبراطوريتها، ص 200.
- (43) اندري ايمار : المرجع السابق، ص 203.
- (44) محمد الصغير غانم : الملامح الباكرة، ص 110 – 111.
- (45) محمد البشير شنيقي : التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، ص 262.
- (46) تغريد شعبان : " الالهة ديانا "، الموسوعة العربية، ج 9، ط 1، دمشق، 2006، ص 433
- (47) محمد الصغير غانم : المرجع السابق، ص 116 – 117.
- (48) محمد الصغير غانم : الملامح الباكرة، ص 125 – 128.
- (49) احمد غانم حافظ : الامبراطورية الرومانية، ص 111.
- (50) الكابيتول : هو المعبد الذي أقيم فرق تلة الكابيتولينوس، بمدينة روما، وخصص للالهة المقدسة حامية روما، (انظر : حسين الشيخ : اليونان، ص 384.)
- (51) محمد الهادي حارش : التاريخ المغربي القديم، ص 222.
- (2) عبد الرحمان بن مرزوق : " مدينة تيمقاد أو تاموقادي قديما "، مجلة التراث، ع 2، مطبعة الشهاب، الجزائر، 1987، ص 42.
- (53) عزت زكي حامد القادوس : اثار العالم العربي، ص 64.
- (54) محمد الصغير غانم : الملامح الباكرة، ص 115.
- (55) عبد الحميد عمران : الحركة الدوناتية، ص 42.
- (56) محمد الصغير غانم : الملامح الباكرة، ص 119.
- (57) اندري ايمار : روما وامبراطوريتها، ص 212.
- (58) أندري ايمار : روما وإمبراطوريتها، ص 126.
- (59) محمد السيد عبد الغاني : التاريخ السياسي، ص 123.
- (60) اغسطس : اسمه الاصلي غايوس او كتافيوس، تبناه يوليوس قيصر بعد اغتيال هذا الاخير اصبح يلقب باسم ابيه وفي (27 م) منحه مجلس الشيوخ الروماني لقب اغسطس حكم (30 ق م – 14 م)، (انظر : عبد الحميد

عمران : الحركة الدوناتية، ص 12.)

(61) مصطفى العبادي : الامبراطورية الرومانية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2007، ص 102.

(62) أندري ايمار : المرجع السابق، ص 304.

(63) عبد الحميد عمران : الحركة الدوناتية، ص 42، 44.

(64) محمد البشير شنيبي : المرجع السابق، ص 263، 264.

(65) عزت زكي حامد القادوس : اثار العالم العربي، ص 171.

(66) مهما عيساوي : " مدينة تبسة "، ص 36.

(67) عزت زكي حامد القادوس : المرجع السابق، ص 301.

(68) محمد البشير شنيبي : التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، ص 261، 264.